

المكتبة الخضراء للأطفال

DUDARAB

عروض البحر



DUDARAB

عادل العصيان

دار المهاجر

المكتبة الخضراء للأطفال



الطبعة السادسة

يقدم: عادل الغضبان



دار المعارف



كَانَ الْمَاءُ فِي بَحْرٍ مِنَ الْبِحَارِ الْبَعِيدَةِ ، أَزْرَقَ صَافِيًّا ،
يُحَاكِي زُرْقَةَ السَّمَاءِ وَصَفَاءَ الْبِلَوْرِ ، وَكَانَ عُمْقُ ذَلِكَ الْبَحْرِ
آلَافَ آلَافِ الْأَمْتَارِ ، فَمَا مِنْ سَفِينَةٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرْسُوَ عَلَى
سَطْحِهِ ، وَلَا مِنْ مَرْسَاةٍ مَهْمَا طَالَتْ حِيَالُهَا يُمْكِنُ أَنْ
تَبْلُغَ قَرَارَهُ .

وَكَانَتْ شُعُوبُ الْمَاءِ تَعِيشُ فِي أَعْمَاقِ هَذَا الْبَحْرِ بَيْنَ
غَرِيبِ النَّبَاتِ وَجَمَاعَاتِ السَّمَكِ .

وَكَانَ فِي أَعْمَقِ مَكَانٍ مِنَ الْبَحْرِ ، قَصْرُ الْمَلِكِ بُنِيتُ
جِيطَانُهُ مِنَ الْمَرْجَانِ ، وَصُنِعَتْ نَوَافِذُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْأَصْفَرِ ،
وَشُيدَتْ سُقُوفُهُ مِنَ الصَّدَفِ ، وَفِي جَوْفِ كُلِّ صَدَفَةٍ مِنْهُ
لُؤْلُؤَةٌ جَمِيلَةٌ .

وَكَانَ مَلِكُ الْبَحْرِ قَدْ فَقَدَ زَوْجَتَهُ مُنْذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ ،
فَنَهَضَتْ أُمُّهُ بِتَدْبِيرٍ شُوُونِ الْقَصْرِ وَالْعِنَايَةِ بَيْنَاهُ وَعَدَدُهُنَّ
سِتُّ أَمْيَارَاتٍ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ أَجْمَلُ مِنَ الْأُخْرَى ، عَلَى أَنَّ
أَصْغَرَهُنَّ كَانَتْ تَفُوقُهُنَّ جَمِيعًا بِالْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ وَالْجَمَالِ
الْخَلَابِ ، فَمِنْ بَشَرَةِ نَاعِمَةٍ رَقِيقَةٍ شَفَافَةٍ كَأَوْرَاقِ الْوَرْدِ ،
إِلَى عَيْنَيْنِ زَرْقَاوَيْنِ بِلَوْنِ الْفَيْرُوزِ ، إِلَى شَعْرٍ أَشْقَرٍ ذَهَبِيٍّ ،
غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَا لِأَخْوَاتِهَا قَدَمَانِ مِثْلُ جَمِيعِ الْبَشَرِ ،
وَإِنَّمَا كَانَ جِسْمُهُنَّ يَنْتَهِي بِذَيْلٍ سَمَكَةٍ .

وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَمْيَرَةُ عَجِيبَةً الْأَطْوَارِ كَثِيرَةَ التَّفْكِيرِ ،



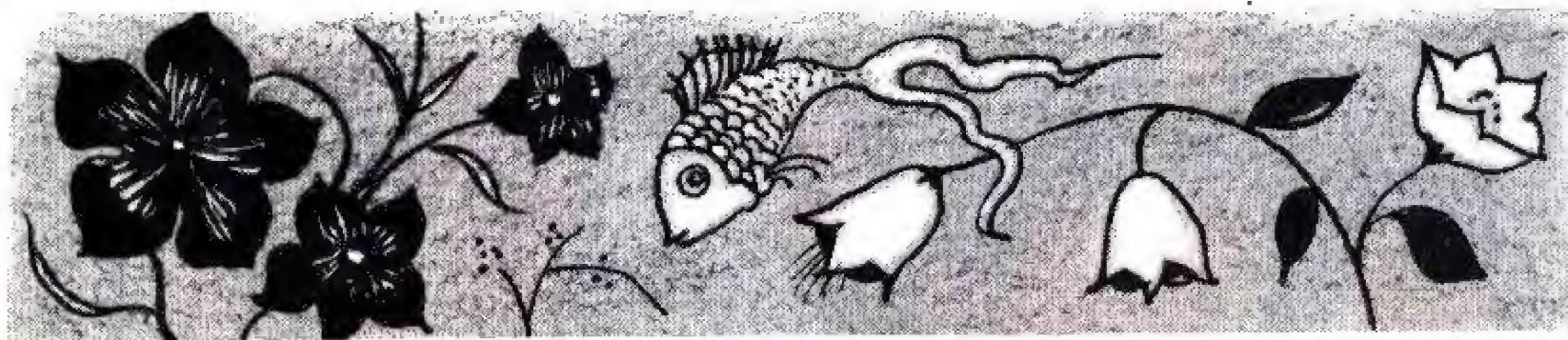
تُؤثِّرُ الصَّمْتُ الْعَمِيقَ عَلَى الْكَلَامِ وَالشَّرْقَةِ ، وَكَانَتْ
مُتَعْتَهَا الْكُبْرَى ، أَنْ تُرْهِفَ السَّمْعَ إِلَى الْأَحَادِيثِ وَالْقِصَصِ
الَّتِي تَرْوِي لَهَا أَخْبَارَ النَّاسِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي عَالَمِ
الْبَشَرِ ، وَلَطَالَمَا طَلَبَتْ إِلَى جَدَّهَا أَنْ تُعْدِّهَا عَنِ السُّفْنِ
وَالْمُدُنِ ، وَأَنْ تَقْصُّ عَلَيْهَا سِيرَ النَّاسِ وَالْحَيَوانِ .
وَكَانَ مِمَّا يُشِيرُ دَهْشَتَهَا ، أَنَّ الْفَاغَاتِ خُضْرَةَ عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ وَأَنَّ الْأَزْهَارَ فِيهَا يَتَضَوَّعُ مِنْهَا عِطْرٌ لَا يُؤْمِنُ
تَحْتَ الْمَاءِ .

وَمَا كَانَتْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَصَوَّرَ أَنَّ السَّمَكَ يُغَيِّرُ وَيُغَرِّدُ
وَيَتَنَقَّلُ فَوْقَ الْأَغْصَانِ ، وَكَانَتْ جَدَّهَا هِيَ الَّتِي أَطْلَقَتْ
اسْمَ السَّمَكِ عَلَى الْعَصَافِيرِ ، حَتَّى يُقْرِبَا مِنْ فَهْمِ الْأَمِيرَةِ
فَكَانَتْ تَقُولُ لَهَا :

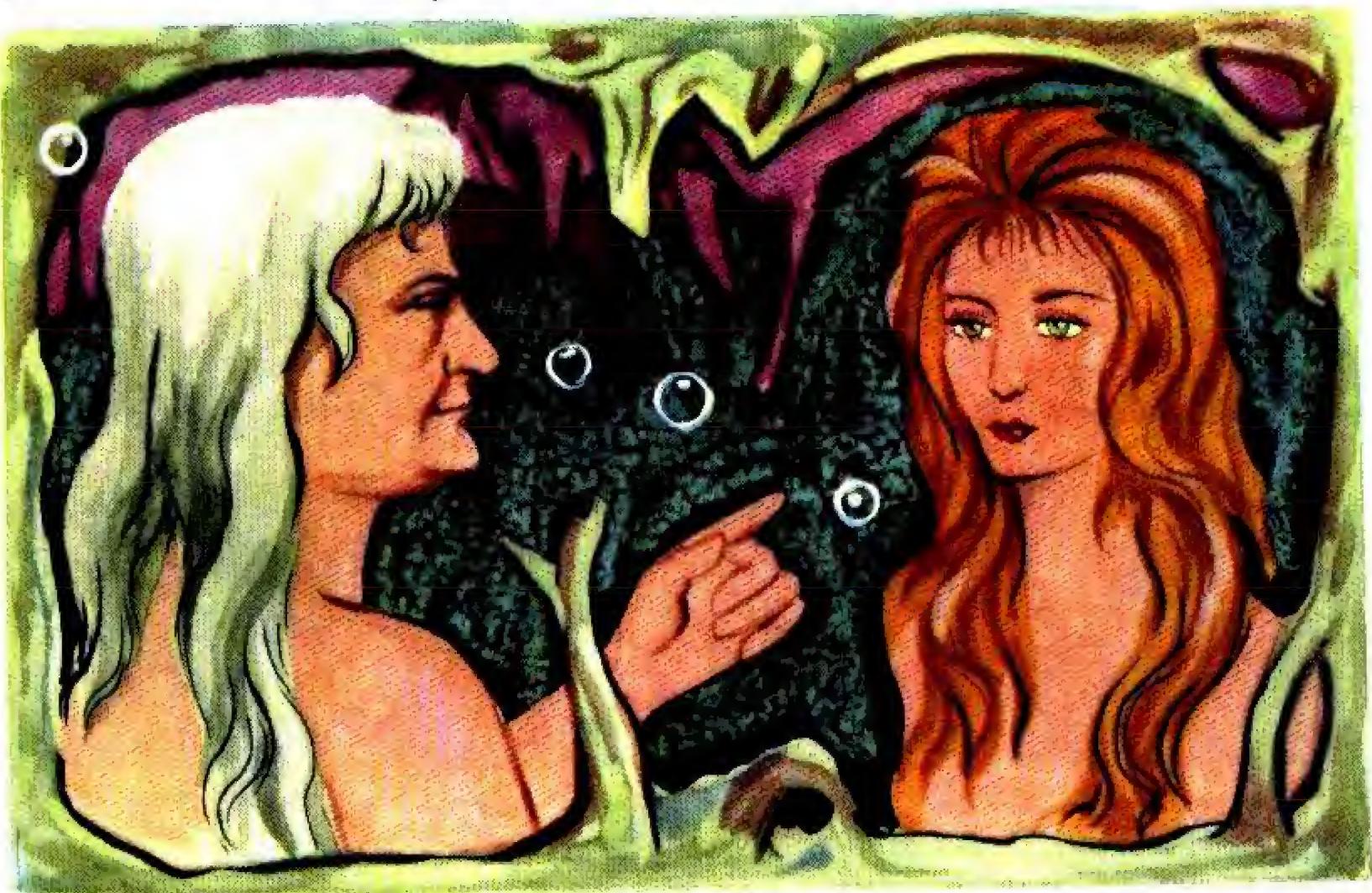
- «عِنْدَمَا تَبْلُغِينَ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِكِ ، فَسَوْفَ

أَسْمَحُ لَكِ أَنْ تَصْعُدِي إِلَى سَطْحِ الْمَاءِ ، وَأَنْ تَجْلِسِي فَوْقَ الصُّخُورِ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ لِتُشَاهِدِي السُّفُنَ الْكَبِيرَةَ وَهِيَ تَمْهِي
عُبَابَ الْمَاءِ ، وَلِكَيْ تَرَى بِعِينَيْكِ الْمُدُنَ وَالْغَابَاتِ وَتَعْرِفُ فِيهَا
عَنْ كَثِبٍ ، فَانتَظِرِي نَوْبَتَكِ بَعْدَ أَخْوَاتِكِ » .

وَكَانَتْ أَكْبَرُ الْأَمِيرَاتِ سَتَبْلُغُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ
عُمُرِهَا بَعْدَ عَامٍ ، وَلَمَّا كَانَ فَرْقُ السِّنِّ بَيْنَ كُلِّ أَمِيرَةٍ وَأَخْتِهَا
سَنَةً وَاحِدَةً ، فَكَانَ لَابْدَ لِأَصْغَرِ الْأَمِيرَاتِ مِنْ أَنْ تَنْتَظِرَ خَمْسَ
سَنَوَاتٍ أُخْرَى لِتَبْلُغَ ذَلِكَ الْعُمُرَ وَتَقُومَ بِمِثْلِ تِلْكَ الرِّحْلَةِ .
وَوَاعَدَتِ الْأَمِيرَاتُ السِّتُّ أَنْ تَحْكِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ
لِأَخْوَاتِهَا عِنْدَ عَوْدَتِهَا ، أَخْبَارَ رِحْلَتِهَا ، وَتَصِيفَ لَهُنَّ مَا تَكُونُ
قَدْ رَأَتُهُ مِنْ عَجَائِبَ ، فَكُلُّهُنَّ كُنْ يَتَحَرَّقُنَ شَوْقًا إِلَى الْعِلْمِ



وَالْمَعْرِفَةُ ، وَلَا سِيمَاءَ أَخْتَهَنَ الصُّغْرَى ، فَقَدْ كَانَ يَدْفَعُهَا
الْفُضُولُ وَالرَّغْبَةُ فِي الْمَعَارِفِ ، إِلَى أَنْ تَجْلِسَ فِي أَكْثَرِ اللَّيَالِي
قُرْبَ نَافِذَةٍ مَفْتُوحَةٍ فِي غُرْفَتِهَا ، وَتُحَاوِلُ أَنْ تَسْتَشِفَ مَا وَرَاءَ
ذَلِكَ الْمَاءِ الْأَزْرَقِ الَّذِي تَضْطَرِبُ فِيهِ الْأَسْمَاكُ . فَكَثِيرًا
مَا وَقَعَ نَظَرُهَا عَلَى الْقَمَرِ وَالنُّجُومِ ، وَلَكِنْ فِي شَكْلٍ مُشَوَّهٍ
بِسَبَبِ طَبَقَاتِ الْمَاءِ الَّتِي كَانَتْ تَحْجُبُ الْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبِ عَنْ
أَنْ تَبَدُّوَ لِلْأَمِيرَةِ الصَّغِيرَةِ فِي صَحِيحِ شَكْلِهَا وَبَاهِرٍ لَا لِأَهْمَاهَا .
وَمَرَّتِ الْأَيَامُ وَبَلَغَتِ الْعَرُوسُ الْكَبِيرَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ





فَهَبَتْ تَقُومُ بِرِحْلَتِهَا إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ ، وَلَمَّا رَجَعَتْ . كَانَتْ جُعبَتُهَا مَمْلُوَةً بِالْحَوَادِثِ وَالْأَخْبَارِ ، سَرَدَتْهَا عَلَى أَسْمَاعِ شَقِيقَاتِهَا وَهُنَّ يَسْتَمِعُنَ لَهَا فِي صَمْتٍ وَسُكُونٍ وَاسْتِغْرَابٍ ، فَقَالَتْ لَهُنَّ فِيمَا قَالَتْ :

- « مَا أَجْمَلَ الشَّوَاطِئَ مَفْرُوشَهُ بِالِّوْمَالِ تَكَسَّرُ عِنْدَهَا أَمْوَاجُ الْبَحْرِ ! وَمَا أَرْوَعَ الْمَدِينَةَ الَّتِي تَقُومُ وَرَاءَهَا حِينَ يَغْمُرُهَا الْقَمَرُ بِضِيَائِهِ ، وَيَكْسُوُهَا بِوْشَاحٍ أَيْضًا ! بَلْ مَا أَبْهَى الْأَنْوَارَ تَسْطَعُ مِنَ الْمَنَازِلِ ، حَتَّى لَيَحْسُبَهَا الرَّائِي كَوَاكِبَ لَا تَعْدُ وَلَا تُحْصَى ». »

وَفِي الْعَامِ التَّالِي سَمَحَتْ الْجَدَّةُ لِلْأَمِيرَةِ الثَّانِيَةِ بِأَنْ تَصْعَدَ إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ ، فَاتَّفَقَ أَنْ أَخْرَجَتْ رَأْسَهَا مِنَ الْمَاءِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَتِ الشَّمْسُ فِيهِ تَغِيبُ وَرَاءَ الْأَفْقِ ، فَخَلَبَ هَذَا الْمَشْهَدُ السَّاحِرُ لِبَهَا ، وَوَصَفَتْهُ لِشَقِيقَاتِهَا بَعْدَ رُجُوعِهَا

وَهِيَ تَقُولُ :

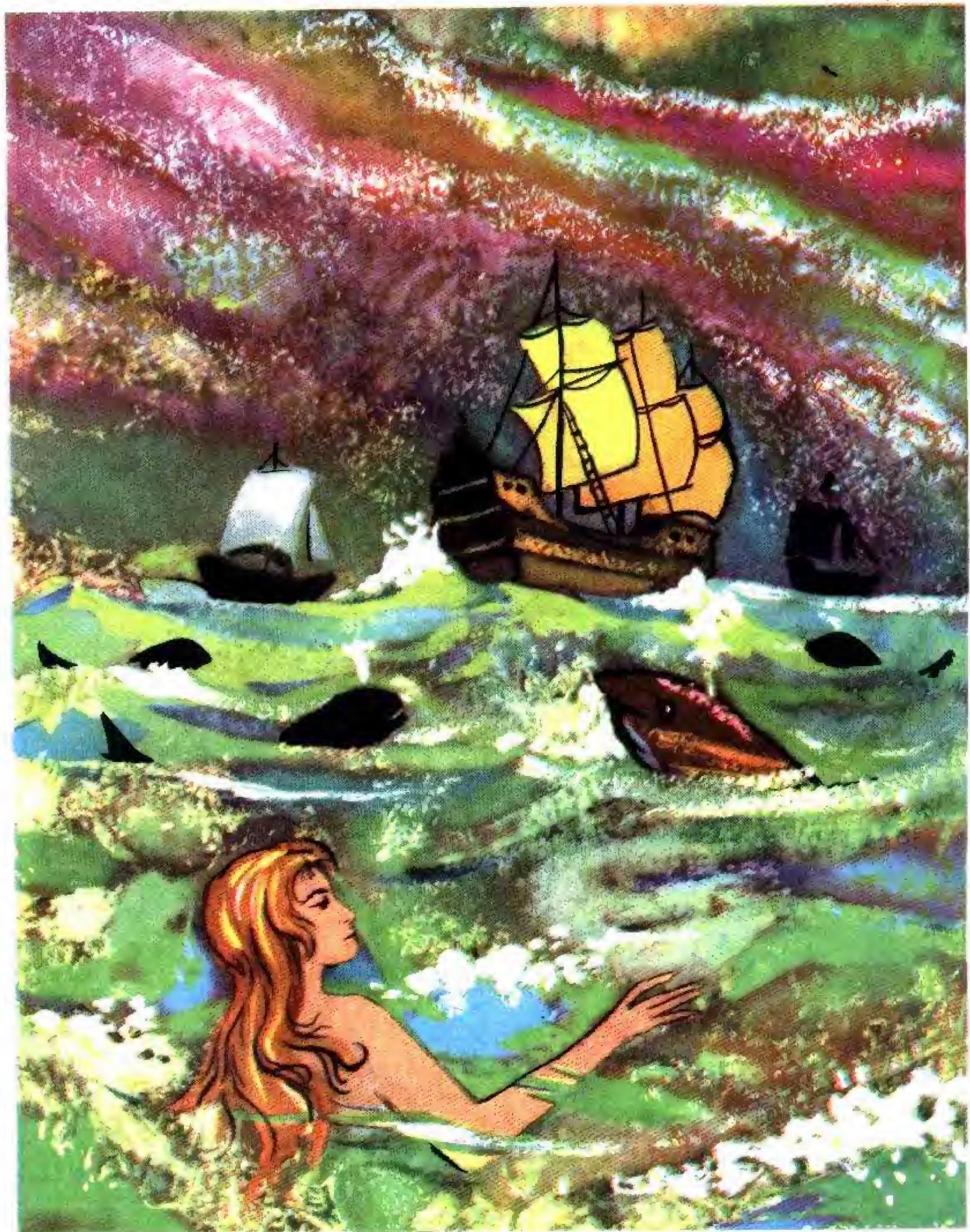
— « كَانَتِ السَّمَاءُ تُشْبِهُ سَيِّكَةً مِنَ الْذَّهَبِ وَكَانَتِ السُّجُبُ
الْمُتَنَاثِرَةُ فِيهَا مَصْبُوْغَةً بُمُخْتَلِفِ الْأَلْوَانِ مَا بَيْنَ أَحْمَرَ وَأَصْفَرَ
وَبَنْسَجِيٍّ ، وَكَانَ سِحْرُ ذَلِكَ الْجَمَالِ فَوْقَ مَا يَتَوَهَّمُهُ
الْخَيَالُ ، وَكُنْتُ أَرَى فِي وَسْطِ تِلْكَ السُّجُبِ جَمَاعَةً مِنَ
الْطَّيُورِ الْبِيْضِ مُتَجَهِّهً إِلَى الشَّمْسِ كَانَهَا شِرَاعٌ أَيْضُّ يَتَحَرَّكُ
وَلَقَدْ أَرَدْتُ عَنِّي أَيْضًا أَنْ أَسْبَحَ إِلَى ذَلِكَ الْكَوْكَبِ الْأَحْمَرِ ،
وَلِكِنَّهُ سُرْعَانَ مَا غَابَ وَغَابَتْ مَعَهُ السُّجُبُ ، وَاخْتَفَتْ بَعْدَهَا
الْأَشِعَّةُ الْوَرْدِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ تَصْبِغُ وَجْهَ الْبَحْرِ »

وَجَاءَتْ نَوْبَةُ الْعَرْوُسِ الثَّالِثَةِ ، وَكَانَتْ أَشْجَعَ أَخْوَاتِهَا
وَأَجْرَأَهُنَّ ، فَاجْتَازَتْ مَصَبَّ أَحَدِ الْأَنْهَارِ الْكَبِيرَةِ ، وَسَبَحَتْ
فِيهِ مَسَافَةً طَوِيلَةً تُمْتَعِنُ نَظَرَهَا التِّلَالُ الْخُضْرُ وَكُرُومُ الْعِنْبِ ،
وَتُثِيرُ إِعْجَابَهَا الْمَزَارِعُ وَالْفَيَابَاتُ وَمَا شُيدَ فِيهَا مِنْ دُورٍ

وَقُصُورٌ عَلَى جَانِبِ عَظِيمٍ مِنْ رَوْعَةِ الزُّخْرُفِ وَجَمَالِ الْبَنَاءِ ،
وَيُشَنِّفُ أُذُنيْهَا تَغْرِيدُ الْبَلَابِلِ بِالْحَانِهَا الْعَذْبَةُ الْجَمِيلَةُ الَّتِي
تَسْحَرُ الْفُوَادَ ، وَكَانَتْ عِنْدَهَا تَلْفُحُ وَجْهَهَا حَرَارَةُ الشَّمْسِ ،
تَغْطِسُ فِي الْمَاءِ قَلِيلًا لِتُبَلِّهُ وَتُرْطِبَهُ ثُمَّ تَظَهَرُ ثَانِيَةً
عَلَى صَفَحَةِ الْمَاءِ مُنْتَعِشَةً مُفْتَبَطَةً ... »

وَلَمْ تَكُنِ الْأُخْتُ الرَّابِعَةُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، فَآثَرَتْ
أَنْ تَبْقَى فِي وَسْطِ الْبَحْرِ ، حَيْثُ يَمْتَدُ الْمَاءُ إِلَى مَرْمَى الْبَصَرِ ،
وَتَسْتَدِيرُ السَّمَاءُ فَوْقَهُ كَانَهَا قُبَّةٌ مِنْ زُجَاجٍ ، فَلَمَحَتْ فِي
الْأَفْقِ الْبَعِيدِ مَجْمُوعَةً مِنَ السُّفُنِ ، جَعَلَهَا الْبُعْدُ لَا تَزِيدُ عَنْ
حَجْمِ الطَّيْرِ ، وَقَدْ تَجَمَّعَتْ حَوْلَهَا الْحِيتَانُ وَهِيَ تَقْذِفُ أَعْمَدةَ
الْمَاءِ مِنْ مَنَاخِرِهَا .

وَوَقَعَتْ رِحْلَةُ الْعَرْوَسِ الْخَامِسَةِ فِي قَلْبِ الشَّتَاءِ ، فَرَأَتْ
مَا لَمْ تَرَهُ شَقِيقَاتُهَا : رَأَتِ الْبَحْرَ أَخْضَرَ اللَّوْنِ ، تَعُومُ فِيهِ



جِبَالٌ مِنَ الْجَلِيدِ، غَرِيبَةُ الشَّكْلِ بَرَاقَةُ لَمَاعَةٌ لَمَعَانَ الْأَلْمَاسِ.
وَيَوْمَ بَلَغَتْ أَصْفَرُ الْعَرَائِسِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا
جَدَّهَا تُمْشِطُهَا وَتُزَينُهَا، وَتَجْلُوها أَحْسَنَ جَلْوَةٍ، عَلَى غِرَادِ
مَا فَعَلَتْهُ مَعَ أَخْوَاتِهَا السَّابِقَاتِ، وَلَمْ تَكُدِ الْجَدَّةُ تَفَرَّغُ مِنْ
عَمَلِهَا حَتَّى قَالَتْ لَهَا الْعَرْوُسُ الصَّغِيرَةُ :

— « وَدَاعًا يَا جَدَّتِي الْعَزِيزَةُ ... »

وَانْقَلَتْ مِنْهَا صَاعِدَةً إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ خَفِيفَةً رَشِيقَةً .
وَعِنْدَمَا أَخْرَجَتْ رَأْسَهَا مِنَ الْمَاءِ، كَانَتْ الشَّمْسُ قَدْ غَابَتْ
مُنْذُ لَحَظَاتٍ، وَالسُّحبُ لَا تَرَالُ مُلَوَّنَةً بِلَوْنِ الْوَرْدِ وَالْذَّهَبِ،
وَكَانَ كَوْكُبُ الْمَسَاءِ يَلْمِعُ فِي كَبِيرِ السَّمَاءِ، فِي حِينَ كَانَ
الْبَحْرُ سَاكِنًا، وَالْهَوَاءُ نَدِيًّا عَلَيْلاً.

وَصَادَفَ أَنْ بَرَزَتْ عَرْوُسُ الْبَحْرِ مِنَ الْمَاءِ، عَلَى مَقْرُبَةٍ
مِنْ سَفِينَةٍ لَمْ يَكُنْ مَنْشُورًا مِنْهَا غَيْرُ شِرَاعٍ وَاحِدٍ بِسَبَبِ



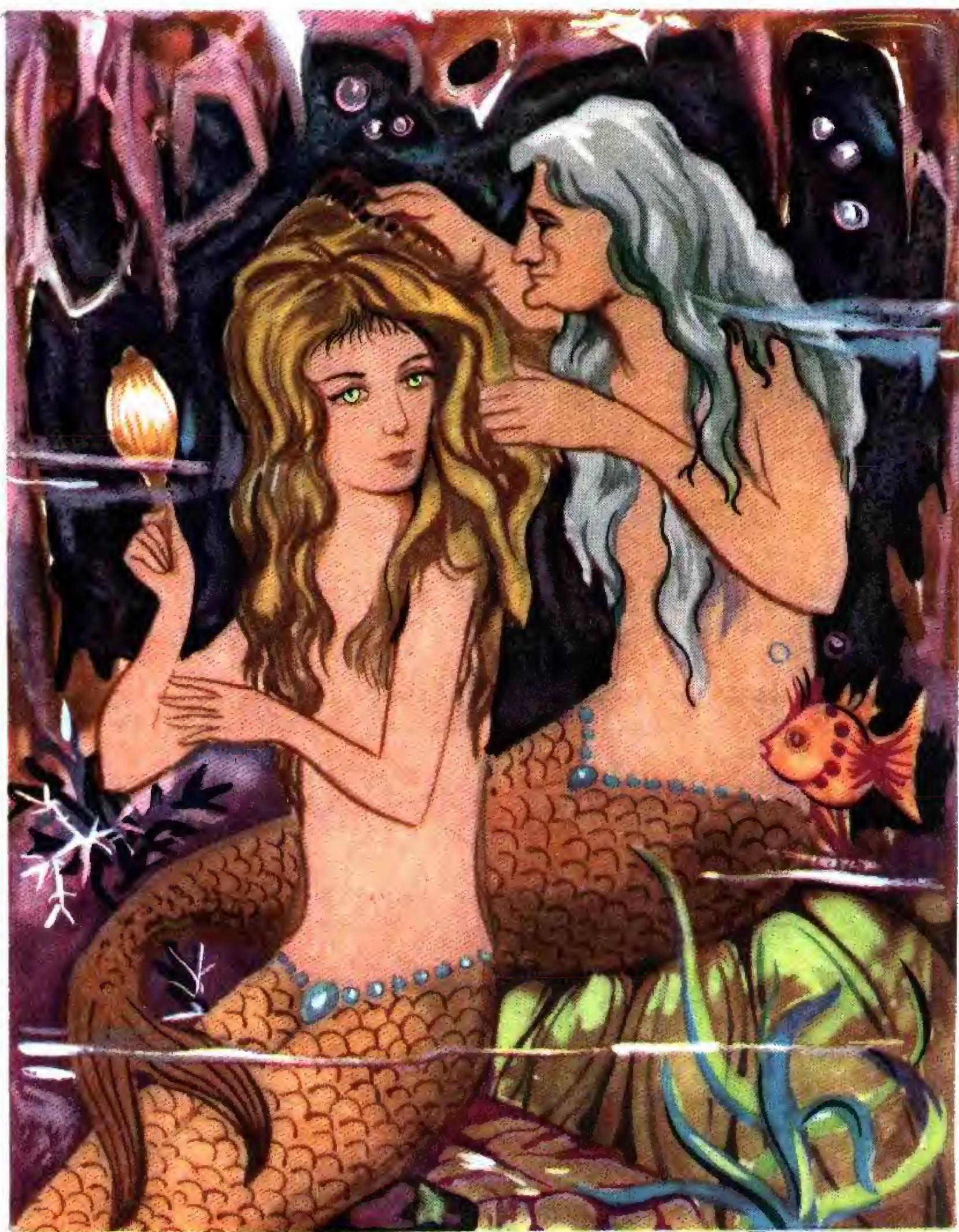
هُدُوء الْبَحْرِ ، فَحَدَّقَتْ فِيهَا فَرَأَتْ تَفَرَّا مِنَ الْمَلَاحِينَ جَالِسِينَ
فَوْقَ الْجِبَالِ الْمَلْفُوفَةِ فِي أَرْضِهَا ، يُغَنِّونَ وَيَعْزِفُونَ عَلَى آلَاتِ
الْطَّرَبِ ، وَحِينَمَا هَبَطَ الْمَسَاءُ ، أُوقِدَتْ مِئَاتٌ مِنَ الْمَصَابِحِ
الْمُلَوَّنَةِ كَانَتْ مُعَلَّقَةً عَلَى أَسَاطِينِ السَّفِينَةِ .

فَسَبَحَتِ الْعَرْوُسُ الصَّغِيرَةُ إِلَى نَافِذَةِ مِنْ نَوَافِذِ السَّفِينَةِ ،
وَكَانَتْ كُلَّمَا عَلَا بِهَا الْمَوْجُ ، رَأَتْ مِنْ وَرَاءِ زُجَاجِ النَّافِذَةِ
الشَّفَافِ ، غُرْفَةً فَسِيحَةً اجْتَمَعَ فِيهَا عَدَدٌ مِنَ الرِّجَالِ يَرْتَدُونَ

الْمَلَابِسَ الْمُزَرَّ كَشَةً .

وَكَانَ أَجْمَلُهُمْ وَأَحْسَنُهُمْ بِزَّةً أَمِيرًا شَابًا أَسْوَدَ الْعَيْنَيْنِ ،
مُسْتَرِسِلَ الشِّعْرِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ الْمَلَاحُونَ يَرْقُصُونَ عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ ، صَبَدَ
الْأَمِيرُ الشَّابُ إِلَيْهِمْ ، فَتَوَقَّفُوا عَنِ الرَّقْصِ ، وَأَطْلَقُوا مِئَاتِ
مِنَ السِّهَامِ النَّارِيَّةِ أَنَارَتِ الْفَضَاءَ ، فَتَمَلَّكَ الرُّغْبُ عَرْوَسَ
الْبَحْرِ ، وَغَاصَتْ فِي الْمَاءِ ، غَيْرَ أَنَّ الْفُضُولَ دَفَعَهَا ثَانِيَةً إِلَى
وَجْهِ الْبَحْرِ ، فَرَأَتِ النُّجُومُ تَسَاقِطُ عَلَيْهِ مُنْهِرَةً اْنْهِمَارَ الْمَطَرِ ،
فَسُرَّتْ مِنْ ذَلِكَ الْمُنْظَرِ الرَّاءِعِ ، وَعَلِمَتْ أَنْ لَا مَجَالَ لِلْخَوْفِ ،
وَأَنَّ الْقَوْمَ يَحْتَفِلُونَ بِعِيدِ الْأَمِيرِ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ شَهِدَتْ
قَطُّ مِثْلَ ذَلِكَ الْإِحتِفالِ ، فَقَدْ تَبَعَ سَاقِطَ النُّجُومِ شُمُوسَ
تَدُورُ ، وَمَنَاطِيدُ مُنِيرَةٍ تَتَصَاعِدُ فِي الْهَوَاءِ ، مِمَّا جَعَلَ تِلْكَ
الْقِطْعَةَ مِنَ الْبَحْرِ الْهَادِيِّ شُعْلَةً تَضَطَّرِمُ .



N.

ثُمَّ شَهِدَتِ الْأَمِيرُ الْجَمِيلَ يُصَافِحُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَيَتَحَدَّثُ
مَعَهُمْ وَيَتَسَمُّ لَهُمْ .
وَبَدَا الْبَحْرُ بَعْدَ ذَلِكَ يَهِيجُ وَيَثُورُ، وَأَخَذَتِ الْأَمْوَاجُ
تَجَمَّعٌ مُرْغِيَّةً مُزْبَدَةً ، وَطَفِقَتِ السُّحبُ السُّودُ تُغْطِي وَجْهَ
السَّمَاءِ ، وَمَا عَتَمَ الْبَرْقُ أَنْ لَمَعَ فِي الْأَفْقِ ، وَأَعْقَبَهُ دَوِيُّ
الرَّعْدِ ، وَهُبُوبُ عَاصِفَةٍ هَوْجَاءَ .

فَأَخَذَتِ السَّفِينَةُ تَرَنَّحٌ عَلَى جَانِبِهَا تَارَةً ، وَتَلْطِمُهَا جِبَالُ
الْأَمْوَاجِ مَرَّةً أُخْرَى، فَتَعْلُو إِلَى قِمَمِهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ فِي أَحْضَانِهَا.
وَفَرِحَتِ الْعَرْوُسُ الصَّغِيرَةُ فِي أُولَى الْأَمْرِ لِهَذِهِ الرِّحْلَةِ
الْمُضْطَرِبةِ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمَّا سِمِعَتْ طَقْطَقَةَ الْوَاحِ السَّفِينَةِ ،
وَرَأَتِ السَّارِيَةَ قَدْ تَقْصَفَتْ وَهَوَتْ مُتَحَطِّمَةً ، وَشَاهَدَتِ
السَّفِينَةَ قَدْ مَالَ جَانِبُهَا وَتَدَقَّتِ الْمِيَاهُ إِلَيْهَا مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ،
أَذْرَكَتْ عِنْدَئِذٍ مَعْنَى الْخَطَرِ، وَاضْطُرَّتْ أَنْ تَدَارَى مِنْ قِطَعِ



الخَشْبِ الَّتِي كَانَتْ تَنْفَصِلُ عَنِ السَّفِينَةِ وَتَقَادَفُهَا الْأَمْوَاجُ .
 وَسَادَ الْهَرَجُ وَالْمَرْجُ فِي السَّفِينَةِ ، ثُمَّ انْشَقَتْ وَغَاصَتْ
 فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ بِمَنْ فِيهَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَرَأَتِ الْعَرْوُسُ الصَّغِيرَةُ
 الْأَمِيرِ الشَّابِ يَنْحَدِرُ فِي طَيَّاتِ الْمَاءِ ، فَاغْتَبَطَتْ كُلَّ الْاِغْتِبَاطِ ،
 وَظَنَّتْ أَنَّ الْأَمِيرَ سَيَنْزِلُ إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي تَسْكُنُهُ ، وَلَكِنَّهَا
 تَذَكَّرَتْ أَنَّ الْبَشَرَ لَا يَعِيشُونَ فِي الْمَاءِ ، فَغَاصَتْ فِي الْبَحْرِ
 مَثَنِي وَثُلَاثَ حَتَّى أَدْرَكَتِ الْأَمِيرَ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ

إِلَى الْحَيَاةِ ، فَأَمْسَكَتْ بِهِ وَرَفَعَتْ رَأْسَهُ فَوْقَ الْمَاءِ ،
وَاسْتَسْلَمَتْ لِمَشِيَّةِ الْمَوْجِ يَدْفَعُهَا حَيْثُ شَاءَ .

وَطَلَعَ الصُّبْحُ فِي الْيَوْمِ التَّالِي عَنْ نَهَارِ جَمِيلٍ ، أَشْرَقَتْ
فِيهِ الشَّمْسُ ، وَدَاعَبَتْ أَشْعَتُهَا وَجْهَ الْأَمِيرِ الشَّابِ ، فَعَادَ
قَلْبُهُ يَنْبِضُ بِالْحَيَاةِ ، وَكَانَتْ عَرْوَسُ الْبَحْرِ عَلَى مَقْرُوبَةٍ مِنَ
البَرِّ ، فَسَارَتْ بِهِ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَمَدَّتْهُ فَوْقَ صَخْرَةٍ
كَبِيرَةٍ مِنْ صُخُورِهِ .

وَلَمَحَتْ عَرْوَسُ الْبَحْرِ عِنْدَئِذٍ ، سِرْبًا مِنَ الْفَتَيَّاتِ يَتَمَشَّنَ
غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَرَجَعَتْ تَسْبَحُ فِي الْبَحْرِ ، وَاخْتَبَأَتْ وَرَاءَ بَعْضِ
الصُّخُورِ لِتَرَى مَاذَا يَحْدُثُ لِلْأَمِيرِ الْمِسْكِينِ .

فَمَرَّتْ بِهِ فَتَاهُ مِنْهُنَّ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَلَمْ تَكُنْ تَرَاهُ عَلَى
تِلْكَ الْحَالِ ، حَتَّى جَرَتْ مُسْرِعَةً وَعَادَتْ يَصْبِحُهَا نَفْرٌ مِنَ
النَّاسِ ، أَخَذُوا يُسْعِفُونَ الْأَمِيرَ بِمُخْتَلِفِ أَنْوَاعِ الإِسْعَافِ ،





ثُمَّ رَأَتُهُ عَرْوَسُ الْبَحْرِ قَدِ اسْتَعَادَ حَوَاسِهُ ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ،
 وَابْتَسَمَ لِمَنْ كَانُوا يُحِيطُونَ بِهِ .
 وَنَهَضَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَاتَّجَهَ إِلَى قَصْرِهِ ، فَعَادَتْ عَرْوَسُ
 الْبَحْرِ حَزِينَةً كَئِيبةً إِلَى قَصْرِ وَالِدِهَا .
 وَكَانَتْ عَرْوَسُنَا الصُّغْرَى يَغْلِبُ عَلَى طَبِيعَهَا السُّكُوتُ
 وَالْتَّفَكِيرُ ، فَازْدَادَتِ اغْتِصَامًا بِهِمَا بَعْدَ رُجُوعِهَا مِنْ رِحْلَتِهَا ،
 وَعَبَثًا حَاوَلَتْ شَقِيقَاتُهَا أَنْ يَعْرِفَنَّ مِنْهَا مَا وَقَعَ عَلَيْهِ نَظَرُهَا

فِي عَالَمِ الْبَشَرِ ، وَلَكِنَّهَا التَّرَكَتِ الصَّمْتَ ، وَلَمْ يَنْبِسْ
يَبْنَتِ شَفَّةً .

وَكَثِيرًا مَا ذَهَبَتْ صَبَاحَ مَسَاءَ إِلَى حَيْثُ تَرَكَتِ الْأَمِيرَ ،
لَعَلَّهَا تَرَاهُ ، وَلَكِنْ خَابَ فَأُلْهَا فَكَانَتْ تَعُودُ إِلَى أَعْمَقِ الْبَحْرِ ،
وَنَفْسَهَا أَعْظَمُ حُزْنًا وَأَشَدُ لَوْعَةً .

وَضَاقَ صَدْرُ الْعَرْوَسِ الصُّغْرَى بِسِرِّهَا الْمَكْتُومِ ، وَنَقْلَتْ
عَلَيْهَا وَطَأَةُ الْحَيَاةِ ، فَأَفْضَتْ بِحَالِهَا إِلَى إِحْدَى شَقِيقَاتِهَا ،
وَنَقْلَتْهُ هَذِهِ إِلَى الشَّقِيقَاتِ الْأُخْرَى ، حَتَّى ذَاعَ بَيْنُهُنَّ جَمِيعًا .
وَمِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ أَصْبَحَتِ الْعَرْوَسُ الصُّغْرَى تُكْثِرُ مِنَ
الْتَّرَدِدِ عَلَى قَصْرِ الْأَمِيرِ صَبَاحًا وَمَسَاءً ، وَتَقْرِبُ مِنَ الشَّاطِئِ ،
وَمَضَتْ بِهَا الْجُرْأَةُ إِلَى الْجُلوسِ أَحْيَا نَاسًا تَحْتَ شُرْفَةِ الْقَصْرِ
الْمُنْعَكِسِ ظِلِّهَا عَلَى صَفَحَاتِ الْمَاءِ .

وَكَانَتْ مِنْ مَوْقِعِهَا ذَالِكَ ، وَالْقَمَرُ نَاسِرٌ ضِيَاءً ، تَرَى



الْأَمِيرِ فِي قَصْرِهِ ، جَالِسًا فِي غُرْفَتِهِ حِينًا ،
وَمُحَاطًا بِالصَّحَابِ حِينًا آخَرَ .

وَلَطَالَمَا رَأَتْهُ قَدْ رَكِبَ وَهُوَ لَاءُ الصَّحَابَ ، سَفِينَةً فَآخِرَةً
مُزَينَةً بِالْأَعْلَامِ ، وَمَرَّوا بِالْقُرْبِ مِنْهَا مُتَمَتِّعِينَ بِنُزْهَةِ بَحْرِيَّةٍ
فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ ، وَكَانُوا إِذَا لَمْحُوا غِطَاءَهَا الْأَيْضَ يَخْفِقُ بَيْنَ
الْقَصَبِ الْأَخْضَرِ ، حَسِبُوهَا بَجَعَةً يَيْضَاءَ قَدْ بَسَطَتْ جَنَاحَيْهَا .
وَازْدَادَتِ الْعَرْوَسُ الصُّغْرَى يَوْمًا بَعْدَ يَوْمِ مَحْبَّةِ لِلْبَشَرِ ،
وَرَغْبَةً فِي الْإِرْتِفَاعِ إِلَيْهِمْ ، وَمُشَاهَدَتِهِمْ ، وَمَعْرِفَةِ



مُخْتَلِفٌ شُوَّونَهُمْ ، وَلَمَّا عَجَزَتْ شَقِيقَاتُهَا عَنْ إِشْبَاعِ فُضُولَهَا
 وَالْإِجَابَةِ عَنْ آلَافِ الْأَسْئِلَةِ الَّتِي كَانَتْ تَطْرَحُهَا عَلَيْهِنَّ ،
 انْقَلَبَتْ إِلَى جَدَّتِهَا تَلْتَمِسُ عِنْدَهَا الْخَبَرَ الْيَقِينَ .
 فَسَأَلَتْهَا ذَاتَ يَوْمٍ قَائِلَةً :

- «إِذَا لَمْ يُصْبِ بَنُو الْبَشَرِ بِالْفَرَقِ، فَهَلْ يَعِيشُونَ أَبْدًا؟
أَفَلَا يَمُوتُونَ كَمَا نَمُوتُ نَحْنُ؟».

فَقَالَتْ لَهَا جَدَّهَا الْعَجُوزُ :

- «إِنَّهُمْ وَلَا شَكَ يَمُوتُونَ، وَإِنَّ حَيَاتَهُمْ لَا قُصْرٌ مِنْ
حَيَاةِنَا، فَنَحْنُ قَدْ نَعِيشُ أَحْيَا نَاهِيَ ثَلَاثَ مِائَةٍ عَامٍ، وَنَحْوَلُ
بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى زَبَدٍ، فَرُوْحُنَا غَيْرُ خَالِدَةٍ، وَوُجُودُنَا يَنْتَهِي
بِالْمَوْتِ، وَنَحْنُ أَشْبَهُ بِالْقَصْبِ الْأَخْضَرِ، فَإِذَا مَا قُطِعَ يَسِّ
وَفَقَدَ اخْضُرَارَهُ، أَمَّا بَنُو الْإِنْسَانِ فَلَهُمْ نَفْسٌ خَالِدَةٌ تَحْيَا
بَعْدَ أَنْ يَحُولَ الْجَسَدُ مِنْهُمْ إِلَى تُرَابٍ، وَهَذِهِ النَّفْسُ تَرَقِي
عَلَى أَجْنِحَةِ الْهَوَاءِ إِلَى النُّجُومِ السَّاطِعَةِ، فَمِثْلَمَا نَرَقَعَ نَحْنُ
مِنْ أَعْمَاقِ الْمَاءِ لِنَتَمَتَّعَ بِرُؤْيَةِ بِلَادِ الْبَشَرِ، يَرَنَّفُونَ هُمْ
إِلَى أَمْكِنَةٍ جَمِيلَةٍ وَاسِعَةٍ لَا تَرَقِي إِلَيْهَا شُعُوبُ الْمَاءِ .»

سَمِعَتِ الْعَرْوَسُ الصُّغْرَى هَذَا الْحَدِيثَ بِشَوْقٍ وَاتِّبَاعٍ

ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ حَزِينَةً :

— « وَلِمَاذَا لَا نَعْمُونَ حَنْ نَفْسٌ خَالِدَةٌ ؟ أَفَلَيْسَتْ هُنَاكَ وَسِيلَةٌ أَسْتَطِيعُ بِهَا أَنْ أَكْسِبَ نَفْسًا خَالِدَةً ؟ » .

فَقَالَتْ لَهَا جَدَّهَا الْعَجُوزُ :

— « هُنَاكَ وَسِيلَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكِنَّهَا فِي حُكْمِ الْمُسْتَحِيلِ ، وَهِيَ أَنْ يُحِبَّكِ رَجُلٌ مِنَ الرِّجَالِ حُبًا عَمِيقًا يَلِيقًا ، فَتُصْبِحِي أَعْزَى عَلَيْهِ مِنْ أُمِّهِ وَأَيْهِ ، فَإِذَا تَعْلَقَ بِكِ مِنْ قَرَارَةِ نَفْسِهِ وَصَمِيمِ فُوَادِهِ ، وَضَمَّ رَجُلُ الدِّينِ يَدَهُ الْيَمَنِيَّ إِلَى يَدِكِ الْيَمَنِيَّ ، وَنَذَرَ لَكِ وَفَاءً لَا يَزُولُ فَحِينَئِذٍ تَسْرِي رُوحُهُ إِلَى جَسَدِكِ ، وَتَنْتَظِيمِينَ فِي سَعَادَةِ الْبَشَرِ ، وَلَكِنْ هَيَّاهَا الَّذِي نَعْدُهُ ، نَحْنُ سُكَّانُ الْمَاءِ ، عُنْوَانُ الْجَمَالِ الْبَارِعِ ، وَهُوَ ذَيْلُ السَّمَكَةِ الَّذِي تَنْتَهِي بِهِ أَجْسَادُنَا ، يَعْدُونَهُ فِي الْأَرْضِ أَكْرَهَ الْأَشْيَاءِ وَأَقْبَحُهَا » .

نَظَرَتِ الْعَرْوَسُ الصُّغْرَى إِلَى ذِيْلِهَا، وَتَنَاهَدَتْ تَنَاهَدَةً عَمِيقَةً أَعْرَبَتْ بِهَا عَنْ مَبْلَغِ الْحُزْنِ الَّذِي يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِهَا.

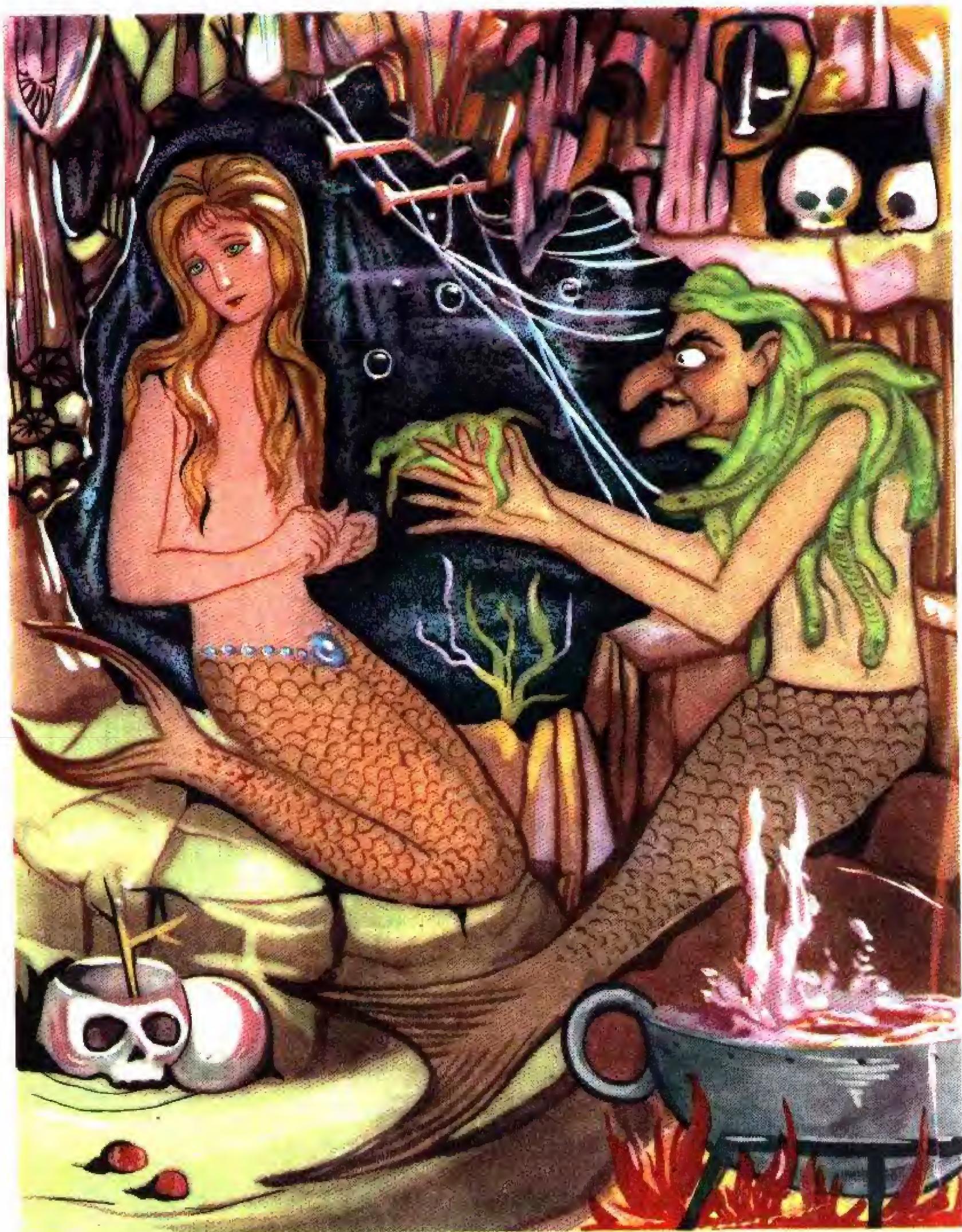
فَاسْتَأْنَقَتِ الْجَدَّةُ الْعَجُوزُ كَلَامَهَا وَقَالَتْ :

- « عَلَيْنَا أَنْ نَفْرَحَ وَنَغْتَبِطَ، وَأَنْ نَقْفِرَ وَنَلْهُو، مَا وَسِعَنَا الْقَفْرُ وَاللَّهُو وَالْفَرَحُ، فِي خَلَالِ الْمِئَاتِ التَّلَاثِ مِنْ حَيَاةِنَا، فَهِيَ قَرْةٌ مِنَ الزَّمَنِ طَوِيلَةٌ جَمِيلَةٌ، وَلَيَكُنْ بَعْدَهَا مَا يَكُونُ » .

فَتَعَزَّزَتِ الْعَرْوَسُ الصُّغْرَى بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَقَضَتْ بَعْضَ الْوَقْتِ تُفْيِي وَتَلْهُو، حَتَّى إِذَا عَادَتْ تُفَكِّرُ فِي الْأَمِيرِ الْجَمِيلِ، وَفِي نَفْسِهِ الْخَالِدَةِ، عَادَهَا الْحُزْنُ فَانْقَطَعَتْ عَنِ الْغِنَاءِ وَالضَّيْعَكِ، وَكَانَتْ لَا تُلْفِي إِلَّا مَهْمُومَةً مُفَكِّرَةً .

وَخَرَجَتْ يَوْمًا مِنَ الْقَصْرِ، وَهِيَ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا :

- « لَمْ لَا أَذْهَبُ إِلَى سَاحِرَةِ الْبَحْرِ، وَإِنْ كَرِهْتُ حَتَّى



الْيَوْمِ أَعْمَالَهَا ، فَلَعْلَهَا تُعِينُنِي وَتُزَوِّدُنِي بِبَعْضِ النَّصَائِحِ » .
 وَتَوَجَّهَتِ الْعَرْوَسُ الصُّغْرَى إِلَى حَيْثُ تُقِيمُ السَّاحِرَةُ ،
 فَمَرَّتْ فِي طَرِيقِهَا بِسَاحَةٍ وَاسِعَةٍ فِي الْفَابَةِ تَسْمَعُ فِيهَا
 حَيَّاتُ الْبَحْرِ ، وَتَتَقَلَّبُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ، وَكَانَ مَسْكُنُ السَّاحِرَةِ
 فِي وَسْطِ تِلْكَ السَّاحَةِ ، وَقَدْ شُيدَ مِنْ عِظَامِ الْفَرْقَى ، فَوَجَدَتْهَا
 جَالِسَةً فَوْقَ حَجَرٍ ضَخْمٍ تُطْعِمُ سَرَطَانًا كَانَ فِي كَفِهَا ،
 كَمَا يُطْعِمُ الْبَشَرُ الْبَلَابِلَ ، وَيُقْدِمُونَ لَهَا قِطْعَ السُّكَرِ ، وَكَانَ
 يَحْلُو لِهُذِهِ السَّاحِرَةِ الْعَجُوزُ أَنْ تُسَمِّي الشَّعَابِينَ دَجَاجَهَا
 الْمَحْبُوبَ ، وَأَنْ تَجْعَلَهَا تَلْتَفُ حَوْلَ صَدْرِهَا الْمُقْفَعِ .
 فَمَا إِنْ أَبْصَرَتْ بِالْعَرْوَسِ الصُّغْرَى مُقْبِلَةً إِلَيْهَا ، حَتَّى
 بَادَرَتْهَا قَائِلَةً :

— « أَعْرِفُ مَا تُرِيدِينَ ... إِنَّ رَغْبَاتِكِ مِنَ الْحُمْقِ بِمَكَانٍ ،
 غَيْرَ أَنَّنِي سَأُعِينُكِ عَلَيْهَا وَإِنْ جَلَبْتُ لَكِ الشَّقَاءَ وَالدَّمَارَ

إِنَّكِ تَرْغِيْبٌ فِي أَنْ تَتَخَلَّصِي مِنْ ذَيْلِكِ ، وَتَسْتَعِيْضِي عَنْهُ
 بِالْقِطْعَتَيْنِ الَّتِيْنِ يَمْشِي بِهِمَا الْبَشَرُ ، حَتَّى يُغْرِمَ بِكِ
 الْأَمِيرُ ، وَيَرَوَّجَكِ وَيَمْنَحَكِ نَفْسًا خَالِدَةً ... «
 وَأَتَبَعَتْ كَلَامَهَا بِقَهْقَهَةٍ عَالِيَّةٍ مُخِيفَةٍ ، أَسْقَطَتْ مِنْ
 كَفِّهَا وَصَدْرِهَا السَّرَّاطَانَ وَالْحَيَّاتِ ثُمَّ قَالَ :
 - « سَاعَدْتُ لَكِ شَرَابًا تَحْمِلِيْنَهُ مَعَكِ ، وَتَشْرِيْنَهُ عِنْدَمَا
 تَصْلِيْنَ إِلَى الشَّاطِيْءِ ، وَتَجْلِيْنَ فَوْقَ رِمَالِهِ النَّاعِمَةِ ، وَسَوْفَ
 تَرَيْنَ ذَيْلَكِ قَدِ انشَقَ عَلَى الْفَوْرِ إِلَى مَا يُسَمِّيْهِ الْبَشَرُ سَاقِيْنِ
 جَمِيلَتَيْنِ ، وَلَكِنَّ عَذَابَكِ سَيَكُونُ أَلِيمًا .
 وَلَسَوْفَ تَخْلُبِيْنَ الْبَابَ الْبَشَرِ بِحَمَالِكِ الْفَتَّانِ ، وَقِدَّكِ
 الْمَهْشُوقِ ، وَمِشْيَتَكِ الْخَفِيفَةِ الْلَّطِيفَةِ ، وَلَسْتُ أُخْفِي عَنْكِ
 أَنَّ كُلَّ خُطْوَةٍ تَخْطِيْنَهَا سَتُسْبِبُ لَكِ آلاَمًا مُبَرِّحَةً كَمَا لَوْ
 كُنْتِ تَدْوِيْنَ عَلَى الدَّبَابِيْسِ ، فَإِنْ وَاقَتِ عَلَى تَحْمِيلِ

مِثْلُ هَذَا الْعَذَابِ ، فَإِنِّي بَاذِلَةٌ لَكِ الْعَوْنَ الَّذِي
تَطْمَعِينَ فِيهِ » .

فَقَالَتْ عَرْوَسُ الْبَحْرِ بِصَوْتٍ مُرْتَجِفٍ ، وَهِيَ تُقْرِكُ
فِي الْأَمِيرِ وَفِي النَّفْسِ الْخَالِدَةِ :
— « سَوْفَ أَتَحْمَلُ كُلَّ ذَلِكَ » .

فَقَالَتِ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ :
— « وَاعْلَمِي أَنِّي إِذَا مَا اسْتَحْلَتِ إِلَى مَخْلُوقٍ مِنْ بَنِي
الْإِنْسَانِ ، فَلَنْ تَعُودِي أَبَدًا إِلَى عَرْوَسٍ مِنْ عَرَائِسِ الْبَحْرِ ،
وَلَنْ تَرَى مَا حَيَتِ قَصْرًا أَيْكِ ، وَاعْلَمِي كَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا لَمْ
يُحِبِّكِ الْأَمِيرُ مِنْ قَرَارَةِ نَفْسِهِ وَصَمِيمِ فُؤَادِهِ ، وَلَا آتَرَكِ
عَلَى أَيِّهِ وَأُمِّهِ ، أَوْ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَشَأْ أَنْ يُبَارِكَ زَوَاجَكُمَا رَجُلٌ
مِنْ رِجَالِ الدِّينِ ، فَلَنْ تَظْفَرِي أَبَدًا بِنَفْسٍ خَالِدَةٍ ، فَفِي
الْيَوْمِ الَّذِي يَتَزَوَّجُ فِيهِ امْرَأَةٌ أُخْرَى ، يَتَحَطَّمُ فُؤَادُكِ ،



وَتَنْقِلِينَ بَعْدَ يَوْمٍ وَاحِدٍ إِلَى قِطْعَةٍ مِنَ الزَّبَدِ تَهَادَى فَوْقَ رُؤُسِ الْأَمْوَاجِ .

فَقَالَتْ عَرْوَسُ الْبَحْرِ وَقَدْ وَشَحَتْ وَجْهَهَا صُفْرَةٌ دَلَّ صُفْرَةُ الْأَمْوَاتِ :

- «إِنِّي أُوَاقِقُ عَلَى كُلِّ مَا تَقُولِينَ» .

فَاسْتَأْتَتْ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ كَلَامَهَا وَقَالَتْ :

- «فَعَلَيْكِ إِذْنٌ أَنْ تَنْقِلِينِي أَجْرِي . . . إِنَّ صَوْتَكِ أَجْمَلُ صَوْتٍ بَيْنَ عَرَائِسِ الْمَاءِ، وَإِنَّكِ لَتَأْمُلِينِي أَنْ تَأْسِرِي بِهِ قَلْبَ الْأَمِيرِ، غَيْرَ أَنِّي أُرِيدُهُ أَجْرًا لِصَنْعِي» .

فَقَالَتِ الْأَمِيرَةُ الصُّغْرَى مُتَحَيِّرَةً :

- «إِذَا أَنْتِ أَخَذْتِ صَوْتِي فَمَاذَا يَبْقَى لِي؟»

فَقَالَتِ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ بِلَهْجَةِ الْوَاثِقِ :

- «يَبْقَى لَكِ جَمَالُ طَلْعَتِكِ وَلُطْفُ مِشِيتِكِ وَسِحرُ

عَيْنِيْكِ ، وَحَسْبُكِ كُلُّ هُذَا فِي سِيلِ الظَّفَرِ بِقَلْبِ إِنْسَانٍ . . .
فَتَشَجَّعَ يَا ابْنَتِي ، وَمُدِّي لِسَانَكِ لَا دِهْنَهُ بِدِهَانِ سِحْرِيِّ ،
وَلَكِ هِنْيَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا وَعَدْتُكِ بِهِ مِنْ شَرَابٍ . . .

فَقَالَتْ عَرْوَسُ الْبَحْرِ :

- « لِيَكُنْ مَا تُرِيدِينَ يَا خَالَةُ » .

وَدَهَنَتِ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ لِسَانَ الْأَمِيرَةِ الصُّغْرَى ، فَاقْتَلَتْ
خَرْسَاءَ . وَتَنَاهَى السَّاحِرَةُ بَعْدَ عَمَلِهَا الْفَظِيعِ قِدْرًا وَضَعَتْهَا
عَلَى النَّارِ ، لِتُتَغْلِيَ فِيهَا الشَّرَابَ السِّحْرِيَّ الَّذِي سَتَصْنَعُهُ .
وَحِينَما رَجَعَتِ الْعَرْوَسُ الصُّغْرَى إِلَى قَصْرِ أَبِيهَا ، كَانَ
كُلُّ مَنْ فِيهِ يَغِطُّ فِي النَّوْمِ ، فَلَمْ تَجْرُو مَعَ هَذَا عَلَى الدُّخُولِ ،
فَكَيْفَ تُكَلِّمُهُمْ ، وَكَيْفَ تُوَدِّعُهُمْ الْوَدَاعَ الْآخِيرَ ، فَشَعَرَتْ
أَنَّ قَلْبَهَا يَتَفَطَّرُ حُزْنًا وَأَسَى .

وَانْدَفَعَتْ إِلَى الشَّاطِئِ وَجَلَسَتْ فَوْقَ رِمَالِهِ النَّاعِمَةِ ،

وَشَرِبَتِ الشَّرَابَ السِّحْرِيَّ، فَأَحْسَتْ فِي الْحَالِ بِانْشِقَاقِ ذَيْلِهَا كَأَنَّ سَيْفًا مَاضِيًّا قَدْ بَرَأَهُ نِصْفَيْنِ، فَوَقَعَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا، وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَتْ كَانَتِ الشَّمْسُ تَسْطُعُ أَشِعَّتُهَا فَوْقَ الْمَاءِ، وَكَانَتْ حَرَارَتُهَا تَسْلُخُ جِلدَ عَرْوَسِ الْمَاءِ، وَلَكِنَّهَا تَعْزَّزُ عَنْ هَذَا بِرُؤْيَةِ الْأَمِيرِ الشَّابِ وَاقِفًا يَإِزَاءِهَا يُحَدِّقُ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ السَّوْدَادَيْنِ.

وَأَحْنَتْ عَرْوَسُ الْبَحْرِ رَأْسَهَا، فَرَأَتْ أَنَّ ذَيْلَ السَّمَكَةِ فِيهَا قَدِ اخْتَفَى، وَحَلَّتْ تَحْلَّلَهُ سَاقَانِ يَضَاؤَانِ جَمِيلَانِ فَسَأَلَهَا الْأَمِيرُ مَنْ تَكُونُ؟ وَمَنْ أَينَ أَقْبَلَتْ؟ فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ نَظَرَةً حُلْوَةً حَزِينَةً، دُونَ أَنْ تَسْتَطِعَ النُّطُقَ يُكَلِّمَهُ وَاحِدَةً، فَلَمْ يُثْقِلِ الْأَمِيرُ عَلَيْهَا بِالسُّؤَالِ، وَأَمْسَكَ يَدِهَا، وَصَحِبَهَا إِلَى قَصْرِهِ، وَعَانَتِ الْمِسْكِينَةُ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ خَطَطَتْهَا آلَامًا مُبَرِّحَةً، وَلَكِنَّهَا صَعِدَتْ سُلَمَ الرَّحَامِ مُتَأْبِطَةً

ذِرَاعَ الْأَمِيرِ بِرَشَاقَةِ أُعْجَبَ بِهَا جَمِيعُ النَّاظِرِينَ ، إِعْجَابَهُمْ بِحَمَالِهَا السَّاحِرِ .

وَأَقْبَلَتِ الْجَوَارِيْ تُغْنِي لِلْأَمِيرِ ، وَتُسْمِعُهُ رَخِيمَ النَّغَمَاتِ ، فَصَفَقَ لَهَا طَويَّلاً وَهُوَ يَتَسَمَّى لِعَرْوَسِ الْبَحْرِ ، فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : - « آهِ لَوْ كَانَ يَدْرِي أَنِّي ضَحَّيْتُ مِنْ أَجْلِهِ بِصَوْتِ أَجْمَلِ مِنْ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ ! »

وَعَمَدَتِ الْجَوَارِيْ بَعْدَ الغِنَاءِ إِلَى الرَّقْصِ ، فَشَارَكَتْهَا عَرْوَسُ الْبَحْرِ فِيهِ ، رَاقِصَةً عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِ قَدَمَيْهَا فِي خِفَّةٍ أَدْهَشَتِ الْحَاضِرِينَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ أَيْ عَذَابٍ قَاسَتْهُ فِي ذَلِكَ الرَّقْصِ . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي أَبْسَهَا الْأَمِيرُ حُلَّةَ الْفُرْسَانِ ، فَامْتَطَى كُلُّ مِنْهُمَا جَوَادًا مُظَاهِمًا ، وَسَارَا مَعًا يَطْوُفَانِ بِالْغَابَاتِ ، ثُمَّ تَرَجَّلَا وَأَخْذَا يُصْعِدَانِ فِي الْجِبالِ ، فَدَمِيتُ قَدَمَاهَا وَهِيَ لَا تَفْتَأِمُ تَضْحَكُ وَتَتَسَمَّى .

وَعِنْدَمَا عَادَ إِلَى الْقَصْرِ، وَأَوْيَ كُلُّ مَنْ فِيهِ إِلَى فِرَاسِهِ
نَزَلتْ إِلَى الْبَحْرِ لِتُرَطِّبَ بِمَاءِهِ الْبَارِدِ قَدَمَيْهَا الْمُحْتَرِقَيْنِ،
فَخَفَقَ فُؤَادُهَا بِذِكْرِي وَطَنِهَا وَأَهْلِهَا .
وَذَاعَ فِي الْقَصْرِ بَعْدَ أَيَّامٍ خَبَرٌ يَقُولُ إِنَّ الْأَمِيرَ يُعِدُّ
سَفِينَةً لِلِّذَهَابِ بِهَا إِلَى زِيَارَةِ مَمْلَكَةِ مَجَاؤِرَةٍ، وَفِي نِيَّتِهِ
أَنْ يَنْزَوَ حَبْرَ بِنْتَ الْمَلِكِ .

سَمِعَتْ عَرْوَسُ الْبَحْرِ
هَذَا النَّبَأَ، فَاضْطَرَّتْ لَهُ
وَأَزْعَجَهَا ، وَعَلِمَتْ أَنَّ
سَاعَتَهَا قَدْ حَانَتْ .

وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ رَكِبَ
الْأَمِيرُ وَحَاشِيَتُهُ ، وَفِيهِمْ
عَرْوَسُ الْبَحْرِ، سَفِينَةً جَمِيلَةً



وَسَارَتْ تَمْخُرْ بِهِمْ عَبَابَ الْبَحْرِ .

وَفِي الصَّبَاحِ دَخَلَتِ السَّفِينَةُ مِنَاءَ الْمَمْلَكَةِ الْمُجَاوِرَةِ ،
فَدَقَّتِ الْأَجْرَاسُ احْتِفَاءً بِقُدُومِهَا وَصَدَحَتِ الْمُوسِيقِيِّيِّيَّةُ مِنْ
أَعْالَى الْأَبْرَاجِ ، وَاصْطَفَتِ الْجُنُودُ تَحْتَ الْأَعْلَامِ الْخَفَاقَةِ
تِرْحِبُ بِالْأَمِيرِ .

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ فِي أَعْيَادِ مَوْصُولَةِ ، وَمَآدِبِ مُتَلَاهِّيَّةِ ،
يَسُودُهَا الرَّقْصُ وَالغِنَامُ وَالْمُوسِيقِيِّيِّيَّةُ ، حَتَّى عَمَّ الْبِشَرُ كُلُّهُ حَتَّى
فِي تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ .

وَمُنْذُ أَنْ وَقَعَ نَظَرُ عَرْوَسِ الْبَحْرِ عَلَى خَطِيبَةِ الْأَمِيرِ الَّتِي
سَتُصْبِحُ زَوْجَتَهُ ، أُخِذَتْ بِجَمَالِهَا وَحُسْنِهَا وَرِقَّةِ خِلَالِهَا ،
فَغَبَطَتْهَا عَلَى سَعَادَتِهَا ، وَلَمْ تُضِمِّرْ لَهَا فِي جَوَانِحِهَا شَيْئًا مِنْ
الْحِقدِ وَالْبَغْضَاءِ .

وَأَزِفَ يَوْمُ زَوْاجِ الْأَمِيرِ ، فَرُزِقَ إِلَيْهِ عَرْوَسُهُ فِي احْتِفالٍ



بَهِيجٌ شَهِدَتْهُ عَرْوَسُ الْبَحْرِ وَهِيَ تُذْرِكُ أَنَّهَا سَتُفَارِقُ عَمَّا قَرِيبٍ
هُذِهِ الدُّنْيَا ، بَلْ سَتُفَارِقُ الْحَيْبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ هَجَرَتْ
وَطَنَهَا وَأَهْلَهَا ، وَضَحَّتْ بِصَوْرَتِهَا الْجَمِيلِ ، وَقَاسَتْ أَشَدَّ الْآلامِ .
وَحِينَ هَبَطَ الْمَسَاءُ ، رَكِبَ الْعَرْوَسَانِ سَفِينَةَ الْأَمِيرِ ،
وَذَهَبَا يَقْضِيَانِ شَهْرَ الْعَسلِ فِي بَعْضِ الْبَلَادِ النَّاهِيَةِ ، وَرَحَلَتْ
مَعَهُمَا حَاشِيَةُ الْأَمِيرِ وَحَاشِيَةُ الْأَمِيرَةِ .
وَقَضَى الْمُسَافِرُونَ لَيْلَةً مِنْ أَسْعَدِ الْلَّيَالِي فِي السَّفِينَةِ ،

أُوقِدَتْ فِيهَا الْمَصَابِحُ فِي طُولِ السَّفِينَةِ وَعَرَضِهَا ، وَعُلِقَتِ
الرِّزِّينَاتُ ، وَدَارَتْ لَذَائِذُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ عَلَيْهِمْ .
أَمَّا عَرْوَسُ الْبَحْرِ فَكَانَتْ تُشَارِكُ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْمَبَاهِجِ ،
غَيْرَ أَنَّ صَدْرَهَا كَانَ مَمْلُوءًا بِالْهَمِّ وَالْفَمِ وَالْحَسْرَةِ .
وَعِنْدَ الْهَزِيعِ الْأَخِيرِ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ انْفَضَّ الْحَفْلُ ،
وَدَخَلَ الْعَرْوَسَانِ مَخْدَعَهُمَا ، وَنَامَ الْقَوْمُ وَسَادَ السُّكُونُ .
وَبَقِيَتْ عَرْوَسُ الْبَحْرِ سَاهِرَةً ، وَصَعِدَتْ إِلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ ،
وَأَخَذَتْ تُحَدِّقُ إِلَى الْأَلْفُقِ الْبَعِيدِ وَهِيَ تَقُولُ فِي تَفْسِيْهَا : مِنْ
هُنَا سَوْفَ تُشْرِقُ الشَّمْسُ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَلَسَوْفَ أُوَدِّعُ الْحَيَاةَ
عِنْدَ ظُهُورِ أَوَّلِ شُعَاعٍ مِنْهَا .
وَعَلَى حِينٍ فَجْأَةً بَرَزَتْ شَقِيقَاتُهَا مِنَ الْبَحْرِ شَاحِبَاتِ الْوَجْهِ
مَقْصُوصَاتِ الشَّعْرِ ، فَقُلْنَ لَهَا :
— «لَقَدْ قَصَصْنَا شَعْرَنَا وَأَعْطَيْنَاهُ السَّاحِرَةَ الْعُجُوزَ ، لِتَشُدَّ أَزْرَكِ

وَتُنْقِذَكِ مِنَ الْمَوْتِ، فَقَدَّمَتْ لَنَا هَذِهِ السِّكِينَ الْحَادَةَ، فَخُذِيهَا
وَأَغْمِدِي نَصْلَهَا فِي قَلْبِ الْأَمِيرِ قَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ،
فَعِنْدَمَا يَنْسَكِبُ دَمُهُ فَوْقَ قَدَمَيْكِ فَسَوْفَ تَتَصِلَّانِ وَتَسْتَحِيَّا لَانِ
إِلَى ذِيلِ سَمَكَةٍ كَمَا كَانَتَا، ثُمَّ تَعُودِينَ عَرُوسًا مِنْ عَرَائِسِ
الْبَحْرِ. فَتَنْزِلِينَ مَعَنَا إِلَى أَعْمَاقِ الْمَاءِ، وَلَنْ تَحُولِي إِلَى زَبَدٍ
إِلَّا عِنْدَمَا تَبْلُغِينَ ثَلَاثِمِائَةً عَامٍ مِنَ الْعُمُرِ. فَعَجِّلِي
وَلَا تَتَوَانِيْ فَقَدْ بَدَأَ خَيْطُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ يَلُوحُ فِي الْأَعْفُقِ
فَلَا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ أَحَدٍ كُمَا، فَاقْتُلِيهِ وَعُودِي إِلَيْنَا».
وَغُصْنَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي طَيَّاتِ الْأَمْوَاجِ.

وَمَضَتِ الْعَرْوَسُ الصُّغْرَى إِلَى مَخْدَعِ الْأَمِيرِ، فَدَخَلَتْهُ
وَرَأَتْهُ نَائِمًا وَقَدْ أَلْقَتْ عَرْوَسَهُ بِرَأْسِهَا إِلَى صَدْرِهِ، فَاقْتَرَبَتْ
مِنْهُمَا، وَرَفَعَتِ السِّكِينَ يَدِيْ مُرْتَجِفَةً، وَنَظَرَتْ مِنَ النَّافِذَةِ
الْمَفْتُوحَةِ إِلَى الْأَعْفُقِ وَقَدْ بَدَأَتِ الشَّمْسُ تَشْقِقُ فِيهِ السُّحبَ

ثُمَّ ... رَمَتْ بِالسِّكِينِ إِلَى الْبَحْرِ، وَخَيَلَ إِلَيْهَا أَنَّهَا تَرَى
نَقْطَةً مِنَ الدَّمِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ السِّكِينُ،
وَنَظَرَتْ نَظَرَةً أَخِيرَةً إِلَى الْأَمِيرِ، وَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي الْمَاءِ،
فَشَعَرَتْ أَنَّ جِسْمَهَا يَتَحَوَّلُ إِلَى زَبْدٍ.

وَظَلَعَتِ الشَّمْسُ فِي تِلْكَ الْحَظْةِ، وَسَقَطَتْ أَشْعَرَهَا الْخَيْرَةُ
عَلَى الزَّبْدِ الْبَارِدِ، فَأَحْسَتِ الْعَرْوَسُ الصُّغْرَى بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ،
وَعَلِمَتْ أَنَّهَا لَمْ تَمُتْ، فَتَطَلَّعَتْ إِلَى الشَّمْسِ وَإِلَى السُّجُبِ الْحُمْرِ
الَّتِي تُحِيطُ بِهَا، وَلَمَحَتْ فِي الْجَوَّ آلَافَ الْمَخْلُوقَاتِ الشَّفَافَةِ
تُرْفِرِفُ فَوْقَهَا، وَتَهْمِسُ بِنَغْمَ عَذْبٍ لَا تَسْمَعُهُ أَذْنُ إِنْسَانٍ.

وَلَا حَذَّتْ عَرْوَسُ الْبَحْرِ أَنَّ لَهَا جِسْمًا قَدْ انبَثَقَ مِنَ الزَّبْدِ،
وَشَابَةً أَجْسَامَ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَسَأَلَتْ حَيْرَى :

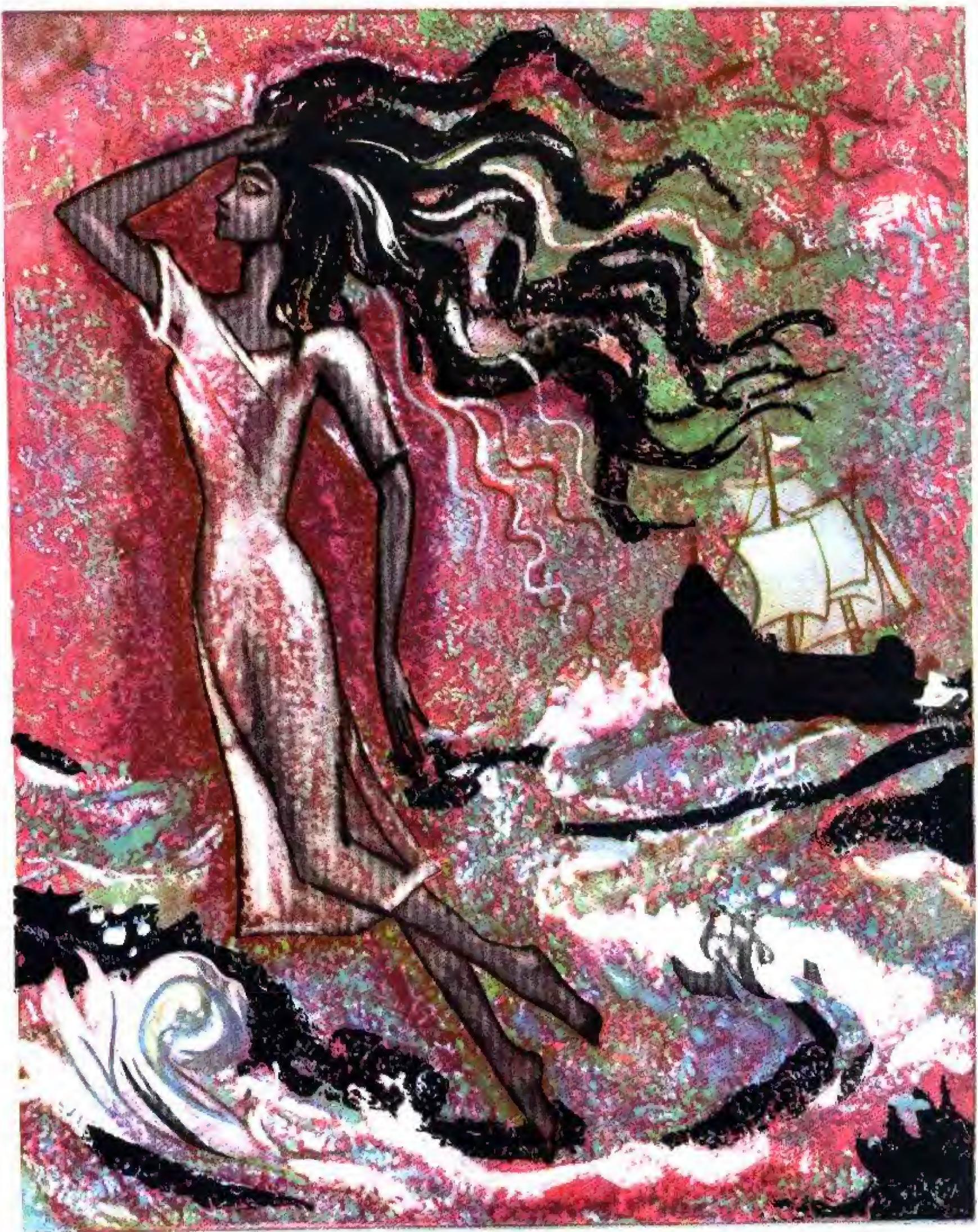
— « أَيْنَ أَنَا ؟ »

فَسَمِعَتْهُنَّ يَقُلُّنَ لَهَا :

- « أَنْتِ عِنْدَ بَنَاتِ الْهَوَاءِ . إِنَّ عَرَائِسَ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُنَّ
نَفْسٌ خَالِدَةٌ ، وَلَا يُمْكِنُهُنَّ الْحُصُولُ عَلَى تِلْكَ النَّفْسِ إِلَّا
بِقُوَّةِ الْحُبِّ الَّذِي يَخْتَلِجُ فِي قَلْبِ الرَّجُلِ ، وَنَحْنُ بَنَاتِ
الْهَوَاءِ ، لَيْسَ لَنَا كَذَلِكَ نَفْسٌ خَالِدَةٌ ، وَلَكِنْ نَسْتَطِيعُ
الْحُصُولُ عَلَيْهَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ ، فَنَطِيرُ إِلَى الْبِلَادِ الْحَارَةِ
لِنُرِّطَبَ الْجَوَءَ ، وَنُنْقِذَ النَّاسَ مِنْ لَهَبِ الْحَرِّ ، وَنَبْثُ
الْجَوَءَ عِظْرَ الْأَزْهَارِ ، فَجَيَّشَمَا مَرَّنَا ، نُنْعِشُ النَّاسَ وَنَهْبُهُمُ
الصِّحَّةَ ، فَإِذَا امْتَدَّتْ أَعْمَالُنَا الصَّالِحةُ إِلَى ثَلَاثِ مِئَةِ عَامٍ
نَكْسِبُ بَعْدَهَا نَفْسًا خَالِدَةً ، وَنُشَارِكُ النَّاسَ فِي سَعَادِهِمُ
الْأَبَدِيَّةِ » .

وَسَكَنَ قَلِيلًا ثُمَّ أَرْدَفْنَ قَاعِدَاتٍ :

- « وَلَقَدْ بَذَلتِ أَنْتِ أَيَّتُهَا الْمِسْكِينَةُ نَفْسَ مَا نَبْذُلُ
مِنْ جُهْدٍ ، فَتَعَذَّبْتِ كَمَا تَعَذَّبْ ، وَخَرَجْتِ مِنْ تَجَارِبِكِ



فَائِزَةً مُنْتَصِرَةً ، وَارْتَفَعَتْ إِلَى عَالَمِ أَرْوَاحِ الْهَوَاءِ ، فَاعْتَمَدَتِ
فِيهِ عَلَى صَالِحِ الْأَعْمَالِ تَكْسِيَ نَفْسًا خَالِدَةً » .

فَرَفَعَتْ عَرْوَسُ الْبَحْرِ ذِرَاعَيْهَا إِلَى السَّمَاءِ وَذَرَفَتِ الدَّمْعَ .

وَكَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْجَلَةُ قَدْ عَادَتَا إِلَى السَّفِينَةِ ، فَرَأَتِ

عَرْوَسُ الْبَحْرِ الْأَمِيرَ وَزَوْجَتَهُ يُطِيلَانِ التَّحْدِيقَ إِلَى الْمَوْجِ

الْمُزِيدِ ، وَالْكَابَةُ مُرْتَسِمَةٌ عَلَى وَجْهِيْهِمَا ، كَأَنَّهُمَا

عَرَفَا أَنَّهَا أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا فِي حِضْنِ الْمَاءِ .

كَانَتْ عَرْوَسُ الْبَحْرِ يَازَا هُمَّا ، وَلَكِنَّ أَعْيُنَ الْبَشَرِ

لَا تَرَنِي الْأَرْوَاحَ الشَّفَافَةَ ، فَابْتَسَمَتْ لِلْأَمِيرِ ، وَطَبَعَتْ

قُبْلَهُ عَلَى خَدِّ زَوْجَتِهِ ، ثُمَّ رَكِبَتْ سَحَابَهُ وَرَدِيهُ فِي

صُحبَّةٍ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْهَوَاءِ ، وَحَلَقَتْ فِي كَبِدِ الْفَضَاءِ . . .



أسئلة في القصة

- ١ - من أى شيء بني قصر ملك البحر ؟
- ٢ - ما الصفة التي كانت تغلب على العروس الصغرى ؟
- ٣ - ماذا روت الأخت الكبرى عند ما عادت من رحلتها ؟
- ٤ - صف السفينة التي رأتها الأخت الصغرى حين برزت من الماء ؟
- ٥ - ماذا فعلت لما هبت العاصفة وغرقت السفينة ؟
- ٦ - بماذا حدثها جدتها عند ما ذهبت إليها تستوضحها شؤون البشر ؟
- ٧ - كيف تستطيع عروس البحر أن تكسب نفسها خالدة ؟
- ٨ - ما الذي كان في كف ساحرة البحر وحول صدرها ؟
- ٩ - بأية وسيلة تخلصت عروس البحر من ذيلها وماذا تحملت في هذا السبيل ؟
- ١٠ - ما المصير الذي كان ينتظر عروس البحر لو أعرض عنها الأمير وتزوج أخرى ؟
- ١١ - أى أجر طلبت الساحرة من عروس البحر لقاء مساعدتها ؟
- ١٢ - هل غنت عروس البحر في قصر الأمير وهل رقصت ؟
- ١٣ - أحقدت عروس البحر على عروس الأمير ؟
- ١٤ - على أى حال برزت شقيقات عروس البحر وماذا أعطينها ؟
- ١٥ - هل قتلت عروس البحر الأمير وماذا صنعت بنفسها ؟
- ١٦ - كيف تستطيع بنات الهواء اكتساب نفس خالدة ؟
- ١٧ - أكتب هذه القصة بأسلوبك وإن شئت .